



1. تقديم:

لقد كان للسانيات فضل على النقد الادبي من خلال استحضار الآليات و الأدوات التي يتوسل بها إلى معرفة الأدب و فحص النص عند تحليله، و عند هذه المحطة كما أشار عبد السلام المسدي يقف الناقد الادبي مسائلا المعرفة اللسانية فيما أتت به من خبرات فنية أماطت عن مكونات اللغة ألثمتها و كشفت عن خبايا الكلام، فجّلت كثيرا من مكنوناته و أبانت عن بعض أسرارها عندما يتبدى في مراتب الفن و يتزقى على مدارج الابداع¹.

فرغم ما وصلت إليه الممارسات النقدية سواء النقد القديم أو الحديث و المعاصر من ابتكار مناهج لقراءة الأدب و تركيب لآليات مستقاة من الحركة اللسانية تبقى الحاجة لنقد النقد ضرورة معرفية ملحة و في غاية الأهمية لرصد هذه الحركة النقدية و البحث في كيفية صنع جهازا متكاملا لقراءة النقد و التنظير لمنهج القراءة و الاشكالية التي طرحها الدغومي² ما النقد الذي نريد؟ و ما المعرفة النقدية التي نريد أن نعتمدها لحل المشكلات الأدبية و النقدية؟.

2. بحث في مدونات نقد النقد:

لقد أصبح مجال نقد النقد خطابا مفتوحا يلتقي فيه الجانب النظري و التطبيقي و قد شكلت مساهمات العديد من النقاد في العالم العربي و الغربي مدونة فعلية تؤسس لهذه المعرفة و إثراء جوانبها فأتسعت الحدود الفنية التي

¹- ينظر عبد السلام المسدي، الأدب و خطاب النقد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ص75

²- الدغومي محمد، نقد النقد و تنظير النقد العربي المعاصر، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 1999.

كانت تحكم النص و انفتح على آفاق ثقافية أخرى ساهمت في فهم النص و إعادة بنائه بصورة متجددة.

و يمكن تلخيص المدونات لنقد النقد من خلال وصف عبد الحكيم الشندودي في كتابه (نقد النقد، حدود المعرفة النقدية) أنها لا تخرج على ثلاثة نماذج أو ثلاثة مستويات من التصنيف:

1- ممارسة دون وعي بمصطلح نقد النقد.

2- ممارسة واعية دون تنظير واعية.

3- ممارسة واعية مع تنظير واعية.

إن الثقافة العربية في تظاهراتها النقدية الحديثة و خصوصاً في مجال نقد النقد لم تخرج عن ثلاثة نماذج أثناء اشتغالها على تحليل النصوص النقدية يتحدد النموذج الأول في **تقويم النقد الأدبي دون استعمال مصطلح نقد النقد** (ممارسة دون وعي)، أما النموذج الثاني فينحصر في انتاجات اشتغلت على **فحص النصوص النقدية مع استعمال مصطلح نقد النقد** (ممارسة واعية دون تنظير واعية)، أما المرحلة الثالثة و هي معاصرة نوعاً ما، فقد تمثلت في **محاولة تقديم تصور واضح لنقد النقد**، ووضع المعايير التي نستطيع من خلالها دراسة نقد النقد كشكل مستقل عن النقد الأدبي (ممارسة واعية مع تنظير واعية)، وهذه المرحلة يمكن اعتبارها مرحلة تأسيس فعلي لنقد النقد العربي³.

إن الآليات المتجددة التي توفرها الوظيفة النقدية كانت بسبب التراكم المعرفي الناتج عن المنعطفات الاستيمولوجية و الاحتكاك بالثقافة الغربية سالكة مسالك الحداثة و ما بعدها جعلت العقل العربي بحاجة إلى مراجعة ذلك الموروث و إعادة صياغة رؤى مرجعية يعيد من خلالها فحص هذا التراكم المعرفي النقدي و انتاج خطابات في نقد النقد ووضع أسس و إجراءات لهذه الممارسة خاصة في ظل ما عرفه الغرب من مناهج نقدية معاصرة و تأثر النقاد

³ - ينظر نور الدين جويي، نقد النقد و آليات اشتغاله في الثقافة العربية -من التنظير إلى التطبيق-، مجلة إحالات ، العدد3، جوان 2019.

العرب بهذه المناهج إلى حد الانصهار في هذه النظريات " فبين حادثة المناهج الغربية و تطبيقاتها العربية، بحكم أن هذه المناهج تصل متأخرة إلى الفكر العربي، بعد أن تفقد قيمتها النظرية و التطبيقية، و تستنفذ أغراضها في سياقها الأصلي، و تتحول إلى معارف معروضة في متاحف تاريخ النقد" 4 من أبرز الأعمال الرائدة و التي تتمثلها حسب اعتقادنا مدونات لنقد النقد من خلال رصد لهذه الحركة التأليفية نجد:

-مرحلة ممارسة نقد النقد دون الإشارة إليه مصطلحا و مفهوما؛ و يمكن أن تمثل هذه المرحلة ما جاء من ردود في كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام و البحري (الأمدي) و كذلك ما ورد من أفكار في كتاب الوساطة بين المتنبي و خصومه(الرجاني) و قد عرض الدكتور إحسان عباس لهذه الأفكار في كتابه (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) 5.

من المدونات النقدية التي حاولت رصد الممارسة النقدية داخل الثقافة العربية المعاصرة ما كتبه محمد مندور (النقد المنهجي عند العرب) و (النقد و النقاد المعاصرون)، و (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) لإحسان عباس. أو حتى كتاب محمد برادة (محمد مندور و تنظير النقد العربي) ن و يمكن أن نسمي هذه المرحلة على رأي أحد الباحثين انها مرحلة الإشارة العابرة للمصطلح دون التصدي لتأصيله و تحديد حقل اشتغاله و آلياته. 6

3. محمد الدغومي نقد النقد و تنظير النقد العربي المعاصر

-أما مرحلة نضج المصطلح نقد النقد أو الميتانقد و استقلال هذا الحقل المعرفي مع العمل على وضع أسس معرفية و أطر علمية تتحدد من خلالها

4- محمد بوعزة نقد النقد جدلية النظرية و الممارسة، عالم الفكر الكويت عدد 199، سبتمبر 2016، ص125، نقلا عن نور الدين جويي، نقد النقد و آليات اشتغاله في الثقافة العربية - من التنظير إلى التطبيق، ص188.

5- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر، من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط4، 1983.

6- ينظر رشيد هارون، الاسس النظرية لنقد النقد، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد 2 العدد 1، حزيران 2012، ص 126 و ما بعدها.

ممارسة نقد النقد فيمثلها كتاب محمد الدغومي (نقد النقد و تنظير النقد العربي المعاصر)، و كذلك كتاب (سحر الموضوع: عن النقد الموضوعاتي في الرواية و الشعر). و ما يدعم ذلك رأي الناقدة نجوى الرياحي القسنطيني عن كتاب الدغومي قولها: "و قد أفدنا من كتاب الدغومي إفادة كبرى، وإن كنا نعتب عليه اشتغاله داخل حقل معرفي متسع و عام -علاقات نقد النقد بالنقد الأدبي- فإن موقع نقد النقد من الدراسة و حظه من التحليل كان أقل مما يتوقع في كتاب يدور أساسا عن نقد النقد"⁷.

و من النقاد الذين اشتغلوا على المصطلح ذاته -نقد النقد- نجد الناقد العراقي محمد باقر جاسم في مقاله (نقد النقد أم الميتا نقد) يقترح ترجمة الميتا نقد فهو في نظره "ليس مجرد إضافة لغوية لكلمة النقد إلى نفسها، لكنه يعبر عن مستوى من الاشتغال المنهجي و المعرفي مختلف عن النقد الأدبي كما انه ليس بعيدا عن حقل اللسانيات و عن مصطلحات مثل الميتافيزيقا (métaphysique) و الميتا لغة (métalangage)"⁸.

4 أما جابر عصفور فيرى في كتابه (نظريات معاصرة) أنه من الافضل ترجمة مصطلح نقد النقد إلى النقد الشارح، و ذلك موازاة مع مصطلح اللغة الشارحة أو الواصفة؛ فالنقد الشارح "مفهوم يشير إلى نظام لغوي ثان، هو لغة شارحة لنظام لغوي أو هو لغة الموضوع و كما نظر إلى التاريخ الشارح بوصفه فلسفة التاريخ، و إلى فلسفة العلم بوصفها العلم الشارح، نظر إلى النقد الشارح بوصفه الخطاب النقدي عن طبيعة و أهداف النقد"⁹.

4. تودوروف تزفيتان نقد النقد رواية تعلم:

⁷- نجوى الرياحي القسنطيني، في الوعي بمصطلح نقد النقد و عوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، عدد1، مجلد83، أيلول 2009، ص35.

⁸- باقر جاسم، نقد النقد أم الميتا نقد، ص110.

⁹- جابر عصفور، نظريات معاصرة، ص273، نقلا عن نورالدين جويي نقد النقد، مرجع سابق، ص189-190.

أما في الفكر الغربي فقد اقترن مصطلح نقد النقد مع كتاب تودوروف تزفيتان (نقد النقد رواية تعلم)، الذي عده عبد المالك مرتاض¹⁰ من الأوائل إن لم يكن أول من اصطلح مصطلح نقد النقد صراحة، ومنحه الاطار المنهجي ورسّخ له الاسس المعرفية، كما أنه دعا إلى الرؤيا الحوارية داخل الخطابات النقدية أو النقد الحواري كما نعتة: " لهذا السبب أدعو هذا النقد حواريا إذ لا يمكن بلوغ الحقيقة التي أطمح إليها إلا بالحوار"¹¹.

لقد كان لتودوروف في كتابه نقد النقد ممارسة تطبيقية و عملية لنقد النقد ذاته دون تنظير أو تأسيس فهو لم يقدم حتى تعريفا واضحا، لكن عمله في الكتاب تجلّى من خلال مناقشة أعمال النقاد الآخرين يتضح ذلك من خلال محادثته لشخصية متخيلة متمثلة في بول بنيشو(P.Bénicho) الناقد الفرنسي المولود في تلمسان صاحب الرومانطيقية الفرنسية ، عن طريق إثارة أسئلة حول تعريف الأدب و الفن و الايديولوجيا و المناهج النقدية...الخ، وأتاح له حرية الرد فهو بذلك تعامل معه بوصفه شخصية في الرواية تتحرك و تتحدث بحرية من خلال السرد و الحوار، و هو ما دفع مترجم الكتاب سامي وسويدان للقول: " كان الأجدر بتودوروف أن يجعل كتابه (حوار نقدي)، بدل أن يعتمد(نقد النقد)، لكن العنوان الثانوي (رواية تعلم) على ما يبدو أيضا، لها دلالة أدق، و ذلك لما يحفل به الكتاب من بعد روائي"¹²، فكانت آراؤه النقدية بصدد أعمال النقاد الذين أختار الحديث معهم ، مع هيمنة السرد على الكتاب هيمنة واضحة، خاصة في الفصل الثامن (نقد حوار) إذ كان تودوروف يخوض في قضايا نقدية، و ترجمة أدبية عن أعماله و أعمال غيره من نقاد و مؤرخين و فلاسفة و مفكرين، و تودوروف نفسه يشير إلى البعد الذاتي حين يذكر أن المؤلفين الذين يدرسهم(لقد اخترت أولئك المؤلفين الذين شعرت بأن لهم الأثر الأقوى في نفسي ص12).

¹⁰ -ينظر عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد.

¹¹ -تزفيتان تودوروف، نقد النقد، رواية تعلم، ترجمة سامي وسويدان، دار الثقافة للشؤون العامة، الأعظمية بغداد، ص149.

¹² -ينظر مقدمة المترجم، ص12.

إن الغاية التي يريد بلوغها تودوروف في كتابه -من خلال التساؤل الافتتاحي- هي مزدوجة الثنائية كما يقول: التعرف على الأفكار الأدبية و النقدية في القرن العشرين، و تمييز الأصل و الاصح بينها، وتحليل التيارات الايديولوجية للقرن من ذلك مواقف سبينوزا باروخ (Baruch-Spinoza). فالكتاب فيه إغراء بالقراءة كما يقول المترجم يحث قارئه على المشاركة فيها من خلال المسائل و القضايا النقدية و الثقافية و الفكرية التي يناقشها -و يدعو القارئ إلى الحوار بشأنها- و استعراض لأهم رموز النقد و الثقافة في أوروبا من الشكلايين الروس إلى بول بينيشو مروراً بحون بول سارتر و باختين و بلانشو موريس، و نورثروب فراي و حتى باختين نفسه.

5. كتاب مقاربات في تنظير نقد النقد عبد العظيم السلطاني:

تأتي أهمية الكتاب من خلال المحتوى المعرفي المطروح فقد تناول مصطلحات "النقد" و "النقد الأدبي" بوصفها بنية تحتية معرفية لـ "نقد النقد الأدبي"، فيما أخذت مصطلحات "نقد النقد" و "الانتقاد" و "الميتا نقد" منحى أكثر معرفية، بوصفهما بنية فوقية للكتاب في "نقد النقد الأدبي".

و يمكننا أن نقتبس ما كتبه أ. د عبد العظيم السلطاني في مقدمة كتابه "مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي"، هذا حيث: "هذا الكتاب يحوض في محورين رئيسين، أولهما مجال التنظير لنقد النقد الأدبي بوصفه خطاباً، من حيث مفهوم نقد النقد الأدبي وطبيعته والحوار التي يتركز عليها وجوده، ومن حيث الحقل الذي ينتمي إليه. وهذا يستلزم وقفات تصنيفية للممارسات النقدية من حيث التنظير والتطبيق، ومن حيث طبيعة الموضوع الذي تشتغل عليه، والحقل الذي تشتغل فيه، فضلاً عن طبيعة الأسئلة التي حرّكت الممارسة النقدية. ويبقى موضوع المصطلحات الدالة على مفهوم نقد النقد الأدبي موضوعاً رئيساً في هذا الكتاب.

وفي ثاني محوري الكتاب خَوْضٌ في واقع تنظير نقد النقد الأدبي عند العرب خلال القرن العشرين. ليجيب المحور عن سؤال رئيس هو: هل للعرب نصيب

من التنظير في مجال نقد النقد الأدبي في القرن العشرين؟ والإجابة عن هذا السؤال تستدعي أسئلة أخرى مثل: هل كان المنجز العربي في مجال تنظير نقد النقد الأدبي دالا على خصوصية نقدية عربية، أم هو جهد مبني على منطلقات نقدية غربية، شأنه شأن المنجزات النقدية الأخرى؟ وهل هو منجز متطابق من حيث منطلقاته التي يستند إليها فهمه، أم هو متنوع المشارب والاتجاهات، حتى غدا تصنيف توجهاته أمرا ضروريا لغرض الفهم؟. وهل كان ذلك المنجز على درجة واحدة من الأهمية المعرفية؟¹³. وهذه الأسئلة وغيرها يجب عنها الكتاب من خلال جهود المؤلف التنظيرية في فصلين تضمن الفصل الأول نقد النقد الأدبي مقارنة المفهوم و الانتماء و المصطلح و الفصل الثاني: مقارنة في تنظير نقد النقد الادبي العربي في القرن العشرين.

¹³-عبد العظيم السلطاني، مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي ، عموز ديموزي، دمشق، ط1، 2018.